قراءات في كتب Book Reviews

كتاب «ثقافة اللاعنف في الإسلام» للدكتور أحمد الفراك[1]

Dr. Ahmed Elfarrak "Culture of Non-Violence in Islam"

إعداد: الدكتور عبد الإلاه بالقاري[2]

Dr. Abdelilah Belkari

مقدمة:

لا يخفى على الباحثين في الحقل الأكاديمي أهمية دراسة البحوث العلمية والإفادة منها وتقليب النظر في فحوى الإشكالات العلمية والعملية التي تعالجها، فإذا كانت الدراسات والبحوث تجيب عن إشكالات لها راهنيتها بشكل علمي دقيق كان خراجها أفيد وأنفع للبشرية عموما وللباحثين على وجه الخصوص، وإن الكتاب الذي نروم الحديث عنه في هذه الكلمات اليسيرة هو للأستاذ أحمد الفراك والموسوم بـ«ثقافة اللاعنف في الإسلام»، ونحسب أن هذا الكتاب الذي جاء في 122 صفحة من الحجم المتوسط، الصادر عن منظمة اللاعنف (ONDA) في مدريد بإسبانيا، من جملة الدراسات المعاصرة النافعة في باب التعريف بسماحة دين الإسلام ورفقه.



يستمد هذا الكتاب أهميته ويثبت جدوى الاعتناء به من وجوه، أهمها:

(1) أستاذ الفلسفة والمنطق بكلية أصول الدين التابعة لجامعة عبد المالك السعدي، تطوان. المغرب.

(2) طالب باحث في الفكر الإسلامي وقضايا التربية والتعليم.

- أولا: اعتماده على عُدة نظرية متكاملة استقى الكاتب مادتها من مصادر ولغات متنوعة.
- ثانيا: ترسّمه منهجا لا يشذ عن قواعد البحث الأكاديمي، حيث توسل عموما بالمنهج التحليلي، إذ بمقتضاه تمكن الكاتب من البسط الدقيق لمفهوم الرفق ومتجلّياته المختلفة ومقاصده المتنوعة، فجاء الكتاب بذلك سويّ المنهج، غزير المضمون، واضح العبارة، سائغ الأخذ والتناول.
- ثالثا: ملحاحيته في واقع البشرية اليوم الذي يعجّ ويضجّ بثقافة العنف بكل أشكاله المادية والنفسية والرمزية، فهو واقع عنيف تتجدد فيه سلطة قانون الغاب باستمرار، تفترس فيه الأمم القوية الأمم الضعيفة، وتتكتل فيه الدول العظمى لاستغلال واستعباد الدول الفقيرة.

فما المراد بمفهوم الرفق؟ وما هي معالم منهاج الرفق في الإسلام؟ وما هي مظاهره وتجلياته في المجتمع؟ وهل يخص الرفق المسلمين وحدهم أم هو من قبيل المشترك الإنساني الذي يعمّ الإنسانية جميعا؟ وما هي مقاصد إعمال منهاج الرفق أخلاقيا وثقافيا وسياسيا في حاضر الإنسانية ومستقبلها؟

هذه الأسئلة تشكل تأطيرا نظريا لموضوع الكتاب، وتفصيلا عمليا للإشكال العام الذي يطرحه، وللإجابة عن تلك الأسئلة ارتأى الكاتب أن يكون مؤلفه في ثلاثة فصول متكاملة؛ أولها الحديث عن الأصول اللغوية والعقدية لمنهاج الرفق في الإسلام، وثانيها خصصه لمظاهر ومجالات الرفق، أما الفصل الأخير فبين فيه المقاصد الأخلاقية والثقافية والسياسية للرفق

الفصل الأول: الأصول اللغوية والعقدية لمنهاج الرفق في الإسلام

بعد الحديث عن الناظم الدلالي لمفهومي الرفق والمنهاج من خلال الرجوع إلى المظان المعجمية، عمل المؤلف على استخراج دلالات الرفق الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث يرى أن «الرفق من القيم الكلية في القرآن الكريم، وإليها ترجع باقي القيم في تكاملها وتداخلها، وفي توزيعها الناظم لكل مجالات الحياة التربوية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، فقيم المحبة والرحمة والعدل والإحسان والشورى والأخوة لا تستقيم

معانيها خارج قيمة الرفق التي هي شرط لتحققها، مما يؤكد مركزية الرفق في إقامة الحياة الإنسانية الاجتماعية الإيمانية الآمنة والمطمئنة.[1]

وقد ألمع الدكتور الفراك إلى أن جميع الأديان والفلسفات والقوانين في تاريخ البشرية جعلت من صميم اهتمامها الحرص على ضمان الحياة الآمنة لأفرادها وحفظ ممتلكاتهم، وسن التشريعات لفض النزاعات بينهم، وتوحيد قوتهم لمواجهة الأخطار المحدقة بهم، وهذه المطالب النبيلة تتطلب حسب الكاتب «نسج روابط المحبة والرحمة والرفق بين مكونات المجتمع الواحد عن طريق التربية والتعليم حتى تتقوى أواصر التعاطف والتضامن وتتآلف القلوب والأرواح»[2].

وفي هذا المقام استشهد الكاتب بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: 159) وله في الآية تأملات لطيفة حيث اعتبر أن الرفق لين في القلب تترجمه المعاملة الرحيمة بالخلْق، ويتعارض اللين مع أخلاق الفظاظة والغلظة والاكفهرار التي تفرق بين الناس وتنشر بينهم العداوة والبغضاء، فالله تعالى في الآية يمنّ على رسوله ﷺ، وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على الناس؛ فكان بهم رحيما ودودا شفيقا عزيز عليه ما يعانونه. فهو الإمام الذي يؤم الناس بالحب والرفق قبل المبايعة والتعاقد.[3]

وبناء على ما اشتملت عليه الآية السابقة من معان يرى الدكتور الفراك أن التربية الإيمانية القرآنية تتوجه إلى «كل ذي قدوة بأن يكون رفيقا بمن تبعه ومن عاشره ومن عامله، حتى لا يفهم الدين بنفسية العنيف؛ فيستأنف عنفه متدينا، آنذاك لا يتوانى الناس في نسبة العنف إلى الدين»[4].

ويؤكد الكاتب أن التربية القرآنية الرفيقة المتوازنة هي التي تصنع جيلا بخصائص أخلاقية اجتماعية وثقافية متميزة، لأن القرآن الكريم يعد «المصدر الأكبر في الأخلاق الإسلامية، عامر بقصص الرفق ونماذجه، بدءا برفق الله تعالى في حواره مع ملائكته ومع

(1) ينظر: أحمد الفراك، ثقافة اللاعنف في الإسلام، منشورات منظمة اللاعنف (ONDA)، مدريد، إسبانيا، ط1، 2021، ص: 20.

(2) المرجع نفسه، ص: 20.

(3) المرجع نفسه، ص :21.

(4) المرجع نفسه، ص 21-22.

أنبيائه، وفي خطابه لخلقه أجمعين، فهو الرفيق سبحانه بهم؛ يأمرهم بما يطيقون، ويسمع شكواهم، ويقبل أعذارهم، ويمحو خطاياهم، ويضاعف أجورهم، قال الله تعالى ﴿الله لطيف بعباده﴾ (الشورى: 19)».[1]

الفصل الثاني: مظاهر ومجالات الرفق في الإسلام

تطرق الكتاب بإيجاز إلى أهم مظاهر الرفق في الأسرة، حيث استهل الحديث بالرفق بالنفس، ذلك أن المرء لا يكون رفيقا بالناس وبالكائنات من حوله ما لم يكن الرفق سجية له، وتصرفا نابعا من أعماقه، يصدر بتلقائية ومن غير تكلّف، وأشار الأستاذ الفراك إلى أن الرفق العميق يرتد في سلوك الفرد لذاته كما ينعكس على تصرفه مع غيره، فلا يعذب نفسه فيُميتها ولا يدسّها فتتغول وتهلكه، وإنما يأخذها من طاقتها، فيوفر لها حقها ويؤاخذها على تجاوزها فيمنعها حظها»[2]، في هذا السياق استدل بالحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم بسنده المتصل إلى أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟» قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجله لي في الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله لا تطيقه - أو لا تستطيعه - أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»، قال: فدعا الله له، فشفاه»[3].

وفي إشارة دقيقة نبّه الكاتب في مقام حديثه عن الرفق بالنفس أن كل ما ظهر في تاريخ المسلمين من مظاهر الرهبنة وتجويع النفس وتوهين الجسم ومنعه من النعيم المسخر له، إنما هو من الثقافات الدخلية التي لا صلة لها بالإسلام وهديه ومقاصده، بل على العكس من ذلك تماما نجد أن «فلسفة التربية في الإسلام تتجه إلى تشجيع الإقبال على الطيبات وشكر الله عليها»[4].

بعد الحديث عن الرفق بالنفس تم الحديث عن الرفق بالوالدين والأقربين، ولا يخفى على أحد المكانة السامقة للوالدين والأقربين في الإسلام، فسلّم الإحسان للإنسانية حسب الكاتب يبدأ «بالإحسان للأقربين الذين ينحدر من صلبهم وجود الفرد وبين أحضانهم

(1) أحمد الفراك، ثقافة اللاعنف في الإسلام، م.س، ص: 24.

(2) المرجع نفسه، ص: 39.

(3) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، رقم الحديث: 2688.

(4) أحمد الفراك، ثقافة اللاعنف في الإسلام، ص: 40.

يترعرع، وعلى رأسهم الوالدان، ثم الإخوة والأقرب فالأقرب، إلى أن تصل القرابة إلى كل إنسان، بل كل مخلوق»[1]. وقد ساق في سبيل التأكيد على حسن الصحبة للوالدين والبر بهما الحديث الصحيح الذي ورد فيه أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله من أولى الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمّك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟، قال: أبوك»[2]. فأولى الناس بحسن الصحبة الأم ثم الأب، ولا تقف الصحبة معهما بل تمتد إلى جميع الناس، لأن السؤال الوارد في الحديث الشريف حسب الكاتب ورد بصيغة «أولى الناس» ودلالته تفيد عنده أن الصحبة مراتب متتالية ومترابطة يشد بعضها بعضا. ويندرج في معاني الصحبة للوالدين الدعاء لهما ومحبتهما وتقديم يد العون لهما والسعي في خدمتهما، وصلة وُدّهما الذي لا يوصل إلا بهما، وإكرام صديقهما، ونفاذ وعدهما، وقضاء دَينهما، قال الله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاّ تَباراً﴾ (نوح: 28). وقال النبي ﷺ: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنع وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قلنا: بلى، يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت»[3]. فالإساءة للوالدين بالعقوق كادت أن تعدل الشرك بالله والكفر به لعظم خطورتها على العبد في الدنيا والآخرة، هذه الإساءة حسب الكاتب تعدّ نكرانا لفضلهما وجحودا لعطائهما وتقصيرا في برهما، ومن أنكر إحسان والديه به فهو لغيرهم أنكر لبالغ فضلهم عليه، وبذلك يصير عقوق الوالدين عقوقا اجتماعيا ومجتمعيا يكتوي بلظاه جميع الناس.

ختم الدكتور الفراك كلامه عن مظاهر الرفق في الإسلام بالحديث عن الرفق بالزوج والأبناء، حيث اعتبر أن الأسرة بوصفها المجتمع الصغير المحك الحقيقي الذي يمتحن فيه المرء، «حيث تطول المعاشرة وتحتاج إلى أخلاق الاعتراف بالفضل والاعتذار عند الخطإ والصفح عن الغلط، والصبر الدائم في المعاشرة والتربية والتعليم والإرشاد، ومعاناة الظروف الطارئة في تدبير قضايا المساكنة المعاشية والنفسية والاجتماعية»[4]، وفي مقام التأكيد على أهمية الرفق بالزوج والأبناء نبّه الكاتب في المقابل إلى خطورة فقْد الأسرة منهاج

(1) أحمد الفراك، ثقافة اللاعنف في الإسلام، ص: 42.

(2) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، رقم: 5626.

(3) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، رقم: 5976.

(4) أحمد الفراك، ثقافة اللاعنف في الإسلام، ص: 44.

التياسر والتطاوع في تدبير سفينة الحياة المشتركة، فإذا فقدت الأسرة هذا الرفق انهار بنيانها وتصدعت أركانها، وبانهيارها ينهار المجتمع بأكمله، لذلك حثّ الكتاب على الإيصاء بالمرأة والطفل؛ لأن الحضارة تهتم بهما حضارة مهددة في مستقبلها، والمستقبل حسب الكاتب إنسان قبل أن يكون وطنا وثروة.

بعد الحديث عن مظاهر الرفق في الإسلام، بسط أستاذ الفلسفة بجامعة عبد المالك السعدي في المطلب الثاني من الفصل الثاني القول في بعض معالم ثقافة الرفق في المجتمع، واستهل هذه المعالم بكلمة في الرفق بالإنسان من حيث هو إنسان، حيث أشار إلى أنه لا يوجد أي مسوّغ في الدين لإهانة الإنسان وترذيله والتعنيف عليه والحط من كرامته أو معاملته معاملة لا إنسانية، والحالات الخاصة حسب الكاتب التي يجوز فيها استعمال القوة المشروعة هي حالة الدفاع عن الحق في الحياة إذا كان مهددا، حث الذات أو حق الغير، وما دون ذلك فالعنف فعل شائن وممارسة دوابية لا تليق بكرامة الإنسان المؤتمن على الوجود، والذي من أجل ذلك سخر الله له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما واستأمنه عليه.[1]

ومن الخلاصات النفيسة التي انتهى إليها الكاتب في سياق حديثه عن الرحمة العامة بالإنسان: أن الرفق في معاملة الناس منهاج نبوي عند جميع الأنبياء عليهم السلام، وللمطلع على سِيرهم أن يكتشف من غير عناء مظاهر الرفق في دعوتهم لأقوامهم وتعليمهم إياهم، إذ خلدوا عليهم الصلاة والسلام أمثلة ناصعة في الصبر والحلم والعفو واللطف. ومن الأدلة الحديثية التي توسل إليها الكاتب في سبيل تأكيد قوله، «أن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: «ادنه، فدنا منه قريبا». قال: فجلس قال: «أتحبه لأمك؟ » قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفتحبه لابنتك؟ » قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم». قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم». قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم». قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه «قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[2].

(1) أحمد الفراك، ثقافة اللاعنف في الإسلام، ص: 55.

(2) مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، رقم: 22211.

بعد الحديث عن الرفق بالإنسان شرع الكاتب في الكلام عن الرفق بالحيوان أو ما سمّاه أخلاقيات رعاية الأنعام، ويمكن اعتبار هذه الفقرة دعوة صريحة من المؤلف وصرخة قوية إلى الرفق بالحيوان، حيث اعتبر أن الحيوان شريك للإنسان في الأرض والحياة وفي كثير من الخصائص البيولوجية والفيزيولوجية، بالإضافة إلى ما يوفره للإنسان من ثروة اقتصادية وغذائية وجمالية، لذلك فللحيوانات على الإنسان المؤتمن في الوجود حق الرعاية والرفق والرحمة[1]. ومن لطيف ما ورد في هذه الفقرة أن النبي ﷺ كان يرفق بالحيوانات ويسميها أسماء جميلة، مثل تسميته لناقته بـ»العضباء»، ولفرسه بـ»اللحيف»، ولبغلته بـ»دلدل»، ولحماره بـ»يعفور» وغيرها، تحببا لها ودعوة للإحسان إليها والرفق بها، ومعاملتها بالحسنى فهي نفس تحس بطبيعة المعاملة التي تتلقاها من ممتطيها أو مستعملها أو من يتاجر فيها.

أما فيما يخص الرفق بالبيئة الطبيعية، فقد اعتبر الكاتب أن أخلاق الرعاية البيئية تعدّ معلَما من معالم الرفق في الإسلام، فإذا كان الإنسان هو الكائن الوحيد المؤتمن في الأرض، فوجب عليه ضمان السلامة البيئية لجميع الكائنات الحية التي تتقاسم معه الخِلقة الوجودية في الأرض ابتداء من الماء والهواء والتراب والكلأ، وألاّ يقدم على عمل يفني هذه المخلوقات أو يعذبها بأي وجه كان، فمن كان جاهلا لآثار فعله غافلا عن مخاطر لامبالاته فهو في نظر الكاتب فاقد الرحمة ساقط الوعي.

الفصل الثالث: المقاصد الأخلاقية والثقافية والسياسية للرفق

ركزّ المؤلف في هذا الفصل الذي انتظم في ثلاثة مطالب على الغايات والمقاصد الأخلاقية والثقافية والسياسية للرفق، تناول المطلب الأول الحديث عن المقاصد الأخلاقية للرفق ونبذ الكراهية، حيث دعا إلى تتميم أخلاق الأخوة الإنسانية ونبذ العنف وترذيله، فمن شأن ثقافة الرفق في المجتمع العادل حسب المؤلف أن تُرسّخ أخلاق المحبة والمودة بين الناس، ويتيسر التعارف والتواصل بينهم، وبتجذر ثقافة الرفق تتقلص ثقافة العداوة والكراهية بين الناس وتقل الرذائل والفواحش[2]. وأشار إلى أن الإنسانية ينتظرها مستقبل زاهر إن هي جعلت أولوية اشتغالها وتركيزها على الرفق بالإنسان الذي خُلق من أصل واحد. ودعا إلى رفع الوصاية والإكراه في الدين، ومستند قوله هذا أن عشرات الآيات التي

(1) أحمد الفراك، ثقافة اللاعنف في الإسلام، ص: 58.

(2) ينظر المرجع نفسه، ص: 71.

تتحدث عن حرية المعتقد تلتقي جميعها في نفي الإكراه في الدين، ولذلك قال: «إذا حصل الإكراه تعطل صدق الاعتقاد، فلا اعتقاد ولا إيمان ولا دين بالإكراه»[1].

خصص الكاتب المطلب الثاني للحديث عن المقاصد الثقافية للرفق ونبذ العنف، من خلال تركيزه على مقصدين اثنين، أولهما يهتم بتوسيع ثقافة اللاعنف في العالم، لأن العنف اعتداء على إنسانية الإنسان وتغييب لثقافة الحوار والتجاور والتعارف والسلام، واعتبر الكاتب أن حاجة المجتمع اليوم «تزداد إلى الرفق والسلم ودعم نسيج العلاقات الإيجابية بين الناس، وعدم الاعتداء عليهم مهما كانت اعتقاداتهم وثقافاتهم واختياراتهم الفكرية والفنية والسلوكية»[2]. وفي ملمح نفيس أكد الدكتور الفراك إلى أن نبذ العنف وترذيله في مجتمع ما لا يعني التخلي عن أسباب القوة التي بها يُحفظ الأمن وتصان الحقوق، فالعنف قسوة وترامٍ على حق الغير واعتداء عليه، والقوة إعداد رفيق لأسباب ووسائل وأدوات ضمان الحق والعدل.

أما المقصد الثاني فقد أفرده الكاتب للحديث عن ترسيخ ثقافة التعايش والمشترك الإنساني، وهو مقصد مرتبط بالذي قبله، حيث تم التأكيد فيه على أن توسيع ثقافة الرفق في بناء المشترك الإنساني، ستخفف حتما وبشكل كبير من غلواء الثقافات الأنانية والاستعلائية، واللصوصية الاستكبارية، التي تنظر إلى الآخر نظرة وقائية حذرة، وتنشر مقابل ذلك فضائل التعايش مع الآخرين في كينونة جماعية مشتركة لا يستغني فيها أحد عن أحد، ولا ثقافة عن ثقافة، وتسعى حسب الكاتب إلى القطع مع التصورات التقليدية المتحيزة والتفسيرات الفكرانية الإديولوجية المعاصرة التي تجعل من تاريخ الحرب وأفكار القتل مرجعا لتفسير التاريخ والدين والحقيقة، وتستعجل الرجوع إلى مرجعياتها التقليدية التاريخية، تستمد منها الحُكم كلما حزبها أمر أو طرأ في مجالها طارئ عنف.

ويخلص الكاتب في هذا المقام إلى أن بناء المشترك الإنساني وتعزيز الأخوة الإنسانية يقتضي التأسيس لمواطنة عالمية مستقبلية، تتجاوز مشكلات الهوية الجغرافية والمواطنة الضيقة، وتعالج مختلف أشكال النظر التنميطية والإهمالية والإقصائية للغير، سواء أكان هذا الغير شخصا أو دينا او ثقافة، وهذا التأسيس لابد أن يستند حسب المؤلّف إلى رؤية أخلاقية تقويمية نقدية لنظريات المركز والأطراف، وكل أشكال الهيمنة والتفاضل التي أفرزتها الثقافة الرأسمالية والامبريالية في عصرنا الحديث.

(1) أحمد الفراك، ثقافة اللاعنف في الإسلام، ص: 77. 78.

(2) المرجع نفسه، ص: 85.

أما المطلب الثالث فقد اهتم ببيان المقاصد السياسية للرفق ونبذ الظلم، إذ نص الكاتب على أن من مقاصد الرفق في منهاج الإسلام إقامة مجتمع عمران أخوي متضامن، تتأسس السياسة الدولية فيه على القيم الأخلاقية الكلية المشتركة بين الأمم، فلا معنى للتضامن سواء داخل مجتمع واحد أو بين المجتمعات وبين الدول إن لم يؤسس على قيمة العدل، وحتى يكون عالم المستقبل هو عالم التضامن الإنساني الشامل، عالم التراحم والتآخي والتآزر وليس عالم الظلم والاستكبار يرى الكاتب ضرورة القطع مع آفتين اثنتين:

- آفة التعصب الديني: ويقصد بها آفة انغلاق أمة أو جماعة دينية ما على معتقدها أو مذهبها أو توجهها الطائفي لغرضٍ قد يكون دينيا أو سياسيا مع كراهيتها لأصحاب الاعتقادات الأخرى والنظر إليهم باحتقار وازدراء.
- آفة التسلط السياسي: وهي استفراد قلة في العالم بالنفوذ والسلطة والجاه، وفرض موقفها وإديولوجيتها على العالم باسم القانون أو الشرعية الدولية أو باسم المصلحة العليا أو باسم الغيرة على القيم السامية أو غيرها من المسوغات، وتمنع المشاركة والاختلاف، وتقصي الأمم المستضعفة وتنومها، وتطمس الآراء المعارضة وتزجرها.

ومن المقاصد السياسية للرفق ونبذ الظلم التي تحدث عنها الكتاب مقصد العدل بوصفه طِلبة المستضعفين من الناس قديما وحديثا، حيث على «نقيض الظلم يتعالى العدل عن العرق واللغة والقومية والجغرافيا والزمان والعقيدة، والقارئ للقرآن يلحظ محوريته في مطالب الدين، فلا يوجد ركن في القرآن إلا والعدل فيه مطلب، سواء ارتبط بالفرد أو الجماعة أو الأمة أو الإنسانية، أو ارتبط بالعقيدة أو المعاملة أو العبادة. فالعدل صلب الدين الذي لا قوام له إلا به، وبه تسعد الإنسانية»[1]. ومن المقاصد السياسية للرفق تشجيع ثقافة المشاركة والاندماج، فبالتربية على الرفق يشجع الفرد على الاندماج في محيطه الثقافي، وينصت إلى غيره المختلف عنه، ويشارك مشاركة صادقة وإيجابية في قضايا مجتمعه، فالناس بثقافاتهم المختلفة يخدمون بعضهم بعضا، ولا توجد حضارة تكتفي بذاتها، بل كل حضارة تستدمج إرث الحضارات السابقة عليها ولا تلغيها.

(1) أحمد الفراك، ثقافة اللاعنف في الإسلام، ص: 100

خاتمة

من الخلاصات التي انتهى إليها الكتاب أن الإسلام دين الرفق في أصوله ومصادره الاعتقادية والأخلاقية والتشريعية، فهو يملك عدة أخلاقية هائلة لإعادة تشكيل العقل المسلم والإسهام في هداية الإنسانية إلى الخير المشترك، كما أن التفكير بمنهاج الرفق والعمل به يعدّ فريضة دينية وفضيلة أخلاقية وطلبة إنسانية وضرورة حضارية، وإن الإعراض عنه وتعطيل أفضاله يعتبر اعتداء على الإنسان والعمران، لذا فإن من واجب العلماء والمثقفين الإسهام في تجديد فقه التؤدة والسماحة، ونشر حكمة التعارف، قصد معالجة أدواء الصراع الهوياتي الذي تعيشه الإنسانية اليوم.